

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

مُبين (164) آل عمران

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ  
(2) الجمعة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا  
(49) انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا  
(50) النساء

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) النور

وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18) فاطر

وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18)

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ } الآية .

أنكر تعالى عليهم في هذه الآية تزكيتهم أنفسهم بقوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَى

الذين } [ النساء : 49 ] بقوله : { انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا } [ النساء : 50 ] وصرح بالنهاي العام عن

تزكية النفس وأحرى نفس الكافر التي هي أحس شيء وأنجسه بقوله : {  
هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا  
**تَزَكُوا** أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [ النجم : 32 ] ولم يبين هنا كيفية  
تزكيتهم أنفسهم .

ولكنه بين ذلك في مواضع أخر ، كقوله عنهم : { نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ  
{ [ المائدة : 18 ] وقوله : { وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا  
أَوْ نَصَارَى } [ البقرة : 111 ] إلى غير ذلك من الآيات .

والزكاة في هذه الآية : هي الطهارة من أنجاس الشرك ، والمعاصي .  
وقوله : { وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ } أي يطهره من أدناس الكفر  
والمعاصي بتوفيقه وهدايته إلى الإيمان والتوبة النصوح ، والأعمال  
الصالحة .

وهذا الذي دلت عليه هذه الآية المذكورة لا يعارضه قوله تعالى : { قَدْ  
أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا } [ الشمس : 9 ] ولا قوله : { قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى } [  
واختلف في مرجع الضمير في زكاها ودساها ، وهو يرجع إلى اختلافهم  
في { فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [ الشمس : 8 ]

{ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } [ الأعلى : 14-15 ]

{ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } قال ابن عباس : لا تمدحوها .

مجاهد وزيد بن أسلم : فلا تبرئوها ،

وقال الكلبي ومقاتل : كان أناس يعملون أعمالا خبيثة ثم يقولون : صلاتنا

وصيامنا وحجنا . فأنزل الله سبحانه هذه ،

---

{ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } : أي فلا تمدحوها على سبيل الفخر والإعجاب .

{ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } هو أعلم بمن اتقى { وذلك لأن التزكية متعلقة

بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى فلا تصلح

التزكية إلا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى : { بل الله يزكي من

يشاء } ويدخل في هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصلاح أو وصفها

بزكاء

ومنها: أن وصف الإنسان نفسه بما فيه من الخير لا بأس به إذا كان

المقصود مجرد الخبر دون الفخر؛ لقولهم: { ونحن نسبح بحمدك

ونقدس لك }؛ ويؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد

آدم ولا فخر" (1)؛ وأما إذا كان المقصود الفخر، وتزكية النفس بهذا فلا

يجوز؛ لقوله تعالى: { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } هو أعلم بمن اتقى { [النجم:

: أثنى الله سبحانه بالحمد على نفسه وافتتح كتابه بحمده ولم يأذن في ذلك لغيره بل نهاهم عن ذلك في كتابه وعلى لسان نبيه عليه السلام فقال : { فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى } وقال عليه السلام : [ احتوا في وجوه المداحين التراب ] : سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة : إن رسو الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم سميت برة فقال ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم فقالوا : بم نسميها ؟ فقال : سموها زينب [ فقد دل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الإنسان نفسه

{ فلا تزكوا أنفسكم } أي لا تمدحوها ولا تشنوا عليها فإنه أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع